دار المشرق ش.م.م.
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠ لبنان

التوزيع:
مكتبة إسطفان
موزّعون ـ ش.م.ل.
ص. ب: ٥٠١٦٥، فرن الشبّاك
بيروت ـ لبنان

الرُّؤيا والعبارة – دراسات في الأدب والفكر والتّاريخ

وداد القاضي

ISBN 2-7214-8157-6
9 782721 481573
Réf:TXTLIT000052A

نصوص ودروس

المجموعة الأدبيّة

وداد القاضي

الرُّؤيا والعبارة

دراسات في الأدب والفكر والتّاريخ

جمعها وحرّرها: بلال الأُرفه لي

دار المشرق

الرُّؤيا والعبارة
دراسات في الأدب والفكر والتّاريخ

الرُّؤيا والعبارة

دراسات في الأدب والفكر والتّاريخ

وداد القاضي

جمعها وحرّرها:

بلال الأرفه لي

دار المشرق

جميع الحقوق محفوظة، طبعة أولى ٢٠١٥
دار المشرق ش.م.م.
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠ لبنان
www.darelmachreq.com

ISBN 2-7214-8157-6

التوزيع: مكتبة إسطفان
موزّعون-ش.م.م.
ص.ب: ٥٠١٦٥، فرن الشبّاك
بيروت - لبنان
هاتف: ٢٨٣٣٣٣ (٠١)
فاكس: ٢٨٩٣٣٣ (٠١)
info@librairiestephan.com
www.librairiestephan.com

توطئـة

تقارب وداد القاضي في كتاباتها بالعربيّة والإنجليزيّة جوانب متعدّدة من الحضارة العربيّة الإسلاميّة قلّما طرقها باحث واحد، منها الفكر الإسلاميّ المبكّر، والتفاسير القرآنيّة، واستعمال **القرآن** في الأدب، وعلم الكلام، والفرق الإسلاميّة، والتاريخ، والمخطوطات والبرديّات المبكّرة، والفكر السياسيّ، والطبقات، والنشر الفنّيّ المبكّر. استطاعت القاضي أن تشكّل مدرسةً فكريّة تخرّج على يدها العشرات من الباحثين الذين يتبوّأون اليوم أبرز المناصب والكراسي البحثيّة في الولايات المتّحدة الأميركيّة والعالم. يعرف كلّ من درس على وداد القاضي سقف توقّعاتها العالي من طلّابها المقترن بتشجيعها المستمرّ وتفانيها في حياتها المهنيّة التي جمعت فيها بين أعلى المعايير العلميّة وأرقى المبادئ الإنسانيّة.

درست وداد القاضي في الجامعة الأميركيّة في بيروت ونالت شهادة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها على يد عملاق حقل الدراسات العربيّة والإسلاميّة إحسان عبّاس. حاولت القاضي في رسالتها للماجستير عن أبي حيّان التوحيديّ (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٥م) أن تعيد بناء مجتمع القرن الرابع الهجريّ الإسلاميّ، بما تضمّنه هذا المجتمع من مفكّرين وفرق دينيّة وطبقات اجتماعيّة، من أصحاب بلاطات وأدباء، حكّام وثوّار، ومن زهد ومجون، تديّن وفلسفة. تابعت وداد القاضي دراساتها العليا في الجامعة الأميركيّة في بيروت على يد إحسان عبّاس وفي جامعة توبنجن في ألمانيا على يد أستاذ الدراسات الإسلاميّة جوزيف فان إس. وفي أطروحتها للدكتوراه اتّجهت نحو الفرق الدينيّة وعلم الكلام مركّزة على فرقة الكيسانيّة. تجمع الأطروحة بين التحليلَين التاريخيّ والأدبيّ، وتقارب ثيمات جذّابة كالثورة والتحرّكات السرّيّة والدعويّة والشهادة والانتقام والبطولة والعدالة والخطب الساحرة.

تركّزت أبحاث وداد القاضي في الجامعة الأميركيّة بعد التخرّج على النشر

العربيّ، تحقيقًا ودراسةً؛ والنثر هو القالب الذي عبّرت من خلاله الحضارة العربيّة الإسلاميّة عن معظم أفكارها. في هذا المجال، اهتمّت وداد القاضي بمعظم أنواع النثر العربيّ وأشكاله، وتجلّى هذا الجهد في كتابها **مختارات من النثر العربيّ**.

شكّلت الحرب اللبنانيّة، التي اندلعت عام ١٩٧٥ واستمرّت أكثر من خمسة عشر عامًا، نقطة تحوّل في حياة وداد القاضي. فقد قضت الحرب على جميع مظاهر القانون والنظام، وشُلّت الدولة في ظلّ تناحر الطوائف والجماعات والميليشيات والأحزاب التي قادت البلاد إلى الخراب. هاجرت وداد القاضي عام ١٩٨٥ إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة وتنقّلت بين عددٍ من الجامعات المرموقة لتستقرّ في جامعة شيكاجو. في الولايات المتّحدة ركّزت الباحثة على ما افتقرت إليه في لبنان – على الدولة، تحديدًا الدولة الأمويّة. جاء هذا التركيز على الأمويّين تطوّرًا لاهتمامها برسائل عبد الحميد الكاتب، مؤسّس النثر الفنّيّ العربيّ، ووعيها المتزايد بأنّ هجوم المؤرّخين الغربيّين وشكّهم بموثوقيّة المصادر العربيّة يشكّل تحدّيًا منهجيًّا لا يمكن للباحث العربيّ تجاهله.

واجهت وداد القاضي هذه المقاربة المشكِّكة في التراث بتنويعها لمصادر كتابة التاريخ، لا من حيث النوع الأدبيّ فحسب، بل من حيث الطبيعة والمادّة، كاعتمادها على النقوش والنقود والمكاييل والأوزان. وجاء اكتشافها للبرديّات العربيّة واليونانيّة والقبطيّة التي تعود إلى الفترة الأمويّة ليعزّز من هذا التوجّه الذي اعتمدته في دراستها لبدايات الدولة الإسلاميّة. وأخذت القاضي بمقارنة المعلومات المستقاة من هذه المصادر المادّيّة بالمصادر الأدبيّة المشكَّك بها، وذلك بتأنّ شديد، لتثبت صحّة كثير ممّا ذُكر فيها، ولتؤسّس بذلك منهجًا يُحتذى يمهّد لقيام حقل الدراسات العربيّة والإسلاميّة على أسس وقواعد ثابتة.

تُعنى البرديّات الأمويّة بأمور الدولة الإسلاميّة العمليّة، كقيمة الضريبة والجزية ورواتب الجند والبراءات وإحصاء السكّان ومسح الأراضي والرسائل الإداريّة وغيرها، وهي بذلك تحتوي على أسماء المئات ممّن يرتبط بالدولة بشكلٍ أو بآخر ومئات النصوص القصيرة التي تفصّل عددًا هائلًا من العمليّات الاقتصاديّة والإداريّة المرتبطة بالدولة وجهازها البيروقراطيّ. تشكّل هذه البرديّات وثائقَ يُطمأنّ إليها في كتابة تاريخ تلك الفترة، ولكنّ استقاء أيّة معلومات منها يتطلّب عنايةً وجهدًا

جبّارَين لم تبخل بهما وداد القاضي. إذ بدأت في تلك الفترة مشروعها الضخم عن الجهاز البيروقراطيّ للدولة الأمويّة (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦٠-٧٥٠م)، والذي أثمر عددًا كبيرًا من الدراسات التي تستقرئ آلاف الأسماء والتواريخ والأماكن والمباني والأراضي والأنساب والمرتّبات والنصوص والأوزان والعطايا والعهود والوثائق، تُمكّن من كتابة تاريخ الدولة الأمويّة ووصف جهازها الإداريّ والبيروقراطيّ في مدن عدّة.

منهجيًّا، طرحت وداد القاضي مسألتين في غاية الأهمّيّة: أولاهما، ما العلاقة بين المادّة التاريخيّة الواردة في المصادر الأدبيّة -كتب التاريخ خاصّةً- وبين مختلف أنواع الوثائق وخاصّةً البَرديّات؟ وهل تتضمّن المصادر الأدبيّة أو تستعمل الوثائقَ من دون الإشارة إلى ذلك؟ تثبت دراسات القاضي تكامل المصادر الأدبيّة ووثائق البرديّات وتجانسها، فتكشف عن جوانبَ مثيرة عبر قراءة إحداهما في ضوء الأخرى. المسألة الثانية التي اهتمّت بها القاضي هي طبيعة الدليل التاريخيّ. فتتساءَل عمّا إذا كان الدارسون الغربيّون محقّين في اعتبارهم أنّ المؤرّخين في فترة ما قبل الحداثة كانوا ينظرون إلى الوثائق كدليل أوثق من الروايات الشفهيّة أو المسندة أو العينيّة. وتشير دراساتها إلى أنّ الرؤية التاريخيّة والأدلّة القائمة عليها تختلف باختلاف الثقافات، وأنّ المؤرّخين المسلمين المبكّرين يقفون موقفًا مخالفًا لما يتوقّعه الدارسون في الغرب، وموقفهم هو الذي يجب أن يحكم توقّعاتنا من النصوص التاريخيّة.

نالت وداد القاضي عشرات الجوائز العلميّة والأوسمة والتكريمات منها جائزة عبد الحميد شومان للباحثين العرب لعام ١٩٨٢، وجائزة الملك فيصل في مجال الأدب العربيّ لعام ١٩٩٤، والدكتوراه الفخريّة من الجامعة الأميركيّة في بيروت عام ٢٠١٢.

واليوم، بعد تقاعدها في مدينة إداينا في ولاية مينيسوتا، تواصل وداد القاضي البحث والكتابة بدأب عن الأمويّين ودولتهم. وهي بصدد إصدار كتاب من أربعة أجزاء عن الدولة الأمويّة وإدارتها ومنازل أهلها. وهذا الكتاب يبحث في الكتابة التاريخيّة عن تلك الدولة.

يجمع الكتاب الذي بين أيدينا معظم مقالات وداد القاضي العربيّة والتي

كتبتها في فترات مختلفة من حياتها المهنيّة، هي التي واصلت الكتابة بالعربيّة حتّى بعد انتقالها إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة لإيمانها بالعربيّة لغةً بحثيّة، ولمدّ جسور معرفيّة بين الشرق والغرب في حقل الدراسات العربيّة والإسلاميّة. ونرجو أن يكون لإعادة نشر هذه المقالات في مجلّد واحد دورٌ في انتشارها، خاصّة وأنّ منها ما نُشر في مجلّات توقّف صدورها.

يُقدَّم للكتاب بمقالة عنوانها «قضيّة المرجعيّة بين الشرق والغرب ومستقبل الدراسات العربيّة والإسلاميّة في العالم الجديد»، ترسي منهجًا وهدفًا نظريًّا نرى أنّه ينسحب على مقالات الكتاب تطبيقيًّا. تصف هذه المقالة - المقدّمة واقع حقل الدراسات العربيّة والإسلاميّة وازدواجيّة المرجعيّة فيه وتَحَدُّد قطبيها بشرق إسلاميّ وغربٍ غير إسلاميّ كلاهما ينكر الآخر ويصوغ تصوّرًا مختلفًا للحضارة، نابعًا من تاريخ علميّ متباين. تحاول المقالة رأب هذه الهوّة بين المرجعيّتين من خلال تتبّع تطوّر الحقل في الغرب، وتُقدّم في خاتمتها خارطة للطريق نحو مستقبل واعد لحقل الدراسات العربيّة والإسلاميّة.

تدرس المقالةُ الثانية وأولى مقالات المحور الأوّل المعنيّ بالأدب - **مفهوم الفتنة وصورها في أدب عبد الحميد الكاتب** - النصوصَ التي يَرِدُ فيها لفظ «الفتنة» في رسائل عبد الحميد الكاتب. وذلك بهدفين: الأوّل لغويّ تأريخيّ، نظرًا إلى إمكانيّة إثبات موثوقيّة نصّ رسائل عبد الحميد لأنّها مبكّرة؛ والثاني أدبيّ تأريخيّ، لأنّ الطريقة التي يستعمل عبد الحميد بها تعبير «الفتنة» يشي بتأثّرٍ واضح ببعض الصور الواردة في **القرآن** الكريم، وببعض ما هو منسوب إلى كبار رجال المسلمين من خطب ورسائل في القرن الأوّل الهجريّ. وتخرج المقالة ببعض النتائج عن دور عبد الحميد في صياغة مفهوم الفتنة مفهومًا إسلاميًّا دينيًّا سياسيًّا.

تحلّل المقالة الثالثة - **صورة من النثر الفنّيّ المبكّر في اليمن على ضَوء كِتَاب الهمدانيّ «صفَة جَزيرَة العَرَب»، نموذَج بشْر بن أبي كبَار البلويّ** - نماذج نثريّة مبكرّة محدِّدَةً موقعها من تاريخ النثر العربيّ. تستخلص المقالة، من خلال معالجة قريبة لنصوص الرسائل، معلوماتٍ عن حياة البلويّ، مولده ووفاته، نشأته وثقافته، ومعالم حياته الرئيسة، وعلاقته المتغيّرة بالدولة، وبعض أفكاره السياسيّة؛ كلّ هذا من دون توفّر أيّ ترجمةٍ له، فتمثّل المقالة بذلك مثالًا يُحتذى عن كيفيّة استقاء

معلومات تاريخيّة وسياسيّة واجتماعيّة من نصوصٍ فنّيّة. تُظهر المقالة المعالم الفنّيّة لهذه الرسائل وبراعة البلويّ في رسم نماذج إنسانيّة كـ«البخيل» و«المنافق» و«الكاتب»، ثمّ تحلّل علاقة هذه الشخصيّات بعضها ببعض؛ ولكنّ التركيز الأكبر في مقالتها يظلّ على «انتزاع» البلويّ للتعابير القرآنيّة في نثره، وهو ما أشار إليه الجغرافيّ اليمنيّ الهمدانيّ منذ القرن الرابع الهجريّ. وقد توسّعت المؤلّفة فيما بعد بدراسة هذه الرسائل فنشرت مؤلّفًا كاملًا عنها (انظر قائمة أبحاثها).

تُخصَّص المقالتان الرابعة والخامسة للفيلسوف والأديب الصوفيّ أبي حيّان التوحيدي (ت ٤١٤/١٠٢٣) الذي اتّخذت وداد القاضي مؤلّفاته منطلقًا لدراسة المجتمع الإسلاميّ في القرن الرابع الهجريّ في رسالتها لنيل الماجستير من الجامعة الأميركيّة في بيروت كما ذكرنا سابقًا. تعالج المقالة الرابعة موضوع **اللغة والعجز عن التعبير في أدب أبي حيّان التوحيديّ** من خلال رصد تصوّر التوحيديّ للّغة، وحصر الموضوعات الكبرى التي يظهر فيها إقراره بعجز اللغة، ثمّ تبيين الأسباب التي دعته إلى اعتبار اللغة عاجزة عن مهمّتها الأصليّة، وهي التعبير. **«الغريب» في «إشارات» التوحيديّ** هو محور المقالة الخامسة التي تحلّل إشارة التوحيدي عن الغربة. ترى المقالة أنّ الإشارة مصوغة في قالب رسائليّ شديد التعقيد في المبنيين الخارجيّ والداخليّ، وأنّها تقع - من الناحية البنائيّة - في ثلاث دورات كبرى، لكلّ منها فاتحتها وصلبها وخاتمتها، وعلى الرغم من تنويع التوحيديّ الشديد في أساليب التعبير فيها، فإنّ أبرز ما تقوم عليه أسلوبيًّا هو مبدأ التضادّ. وتذهب المقالة إلى ربط معاني الغربة في الإشارة بحياة التوحيديّ وشعوره ونظرته إلى مأساة الإنسان الواعية.

تبدأ المقالة السادسة، وهي بعنوان **مقاماتُ «بديع الزمان» الهمذانيّ تقنيّة القناع ومراميها الفنّيّة والفكريّة**، بتمهيد يستعرض أهمّ الدراسات السابقة التي عُنيت بمقامات الهمذانيّ، تليه قراءة تحليليّة داخليّة لحركيّات السرد وآليّاته في المقامات والتي شكّلت بنيتها ورسمت خطوط اهتماماتها الفكريّة والإنسانيّة. وتدرس المقالة استعمالات الهمذاني لتقنيّة القناع وكشفه في ما يتّصل بالبطل والجمهور؛ فتميّز بين القناع المادّيّ الحقيقيّ، والقناع الحاجز، وقناع الوضع أو الحال، وقناع الاسم، وقناع الجغرافية، وقناع الإثنيّة، وقناع النسب، وقناع الدين، وقناعَي الزمان والمكان، والقناع البيانيّ. وتستطلع المقالة أهداف الهمذانيّ في استعمال القناع

وتربطها «بمَسْرَحة» الوضع الإنسانيّ وعرض الخيارات التي يواجهها الإنسان في الحياة.

تقارن دراسة **بين الجاحظ وابن زيدون**، المقالة السابعة في الكتاب وآخر المقالات الأدبيّة، بين أسلوب أديبين لامعين: الجاحظ (٨٦٨/٢٥٥) وابن زيدون (١٠٠٣/٣٩٤) وأسباب التشابه والاختلاف في نثريهما بالعودة إلى نفسيّة الكاتبين ومشاغلهما. وتستنتج المقالة أنّ إعجاب ابن زيدون بالجاحظ أسلوبًا وغزارة وتفنّنًا وترسُّمه لخطّه في الكتابة هو الذي أبعده عن التصنّع الشائع في عصره، وكفل له مكانةً خاصّةً بين معاصريه. غير أنّ ذهاب ابن زيدون إلى «الانتقائيّة» في تقليده للجاحظ، باعَدَ بين الكاتبين، مانحًا ابن زيدون تفرّدًا في الأسلوب النثريّ وتوافقًا أصيلًا بين بنيته الفنّيّة والثقافيّة والنفسيّة وبين أدبه بوجهٍ عامّ.

الفكر هو موضوع المحور الثاني المؤلّف من ستّ مقالات. يبدأ المحور بدراستين عن فكر أبي حيّان التوحيدي. تعنى المقالة الثامنة **بِعلاقة المفكّر بالسلطان السياسيّ في فكر أبي حيّان التوحيديّ**، والتي ترى وداد القاضي أنّها شكّلت قطبَ الرُّحى في الفكر السياسيّ للتوحيديّ. ومحور المقالة هو السؤال التالي: هل يجوز أن يصحب المفكِّر صاحبَ السلطان السياسيّ؟ ترى الباحثة أنّ تجربة أبي حيّان العمليّة تجيب عن السؤال بالإيجاب، غير أنّ الإجابة عنه على المستوى الفكريّ لم تكن بسيطة ولا حاسمة وإن انتهت إلى الإيجاب بوجهٍ عامّ؛ إذ كانت تتصارع في نفس أبي حيّان مجموعةٌ من ضُروب الصِّراع العميق: بين المثال والواقع من ناحية، وبين المُثُل نفسها من ناحية أخرى. وترى الباحثة أنّ التوحيدي قد ربط بين الفكر التجريديّ والناحية التجريبيّة، فجعل مدارَ الفكر السياسيّ مدى علاقة المفكِّر بالسلطة، ومن هذه الزاوية عالج القضايا الداخلة في الفكر السياسيّ على اختلافها، فكان بذلك مبتدعًا لمنطلقٍ فريد في هذا الفكر، ومتكلّمًا باسم فئة المفكِّرين في الأمّة. أمّا المقالة التاسعة فتفصّل **الركائز الفكريّة في نظرة أبي حيّان التوحيديّ إلى المجتمع**. فمن الناحية النظريّة تعتمد مصالح الخلق في فكر التوحيديّ على الدين والخُلق والعلم وترتكز هذه الخصال على العقل، وتفصّل المقالة هذه الخصال بتفحّص مؤلّفات التوحيديّ. أمّا نظرة التوحيديّ إلى الواقع فتقاربها المقالة من خلال التركيز على موقفه السياسيّ، ونظرته إلى العامّة، ونظرته إلى تباين الأمم في مميّزاتها. وتخلص المقالة إلى أنّ

هذه الركائز قد لا تشكّل فلسفة متكاملة في النظرة إلى الإنسان والمجتمع، غير أنّها تمثّل موقفًا فكريًّا واضح المعالم، وتوضيح هذا الموقف ضروريّ لإدراك العوامل التي توجّه أبا حيّان في نظرته إلى مجتمع القرن الرابع.

الفكر السّيَاسيّ لدى أبي مروان ابن حيّان، مؤرّخ الأندلس الكبير، يشكّل محور المقالة العاشرة في الكتاب، اعتمادًا على النقول المطوّلة التي وصلت إلينا من الكتاب في المصادر المختلفة. توضح المقالة مثلًا آراءه في الخلافة، وصفات المَلك ومهمّاته، والجهاد، والفتن، وأجهزة الدولة وموظّفيها، ومنصب الوزارة، وتخلص إلى أنّ أبا مروان ابن حيّان - وإنْ لم يؤلّف كتابًا خاصًّا في الفكر السياسيّ - كان مفكّرًا سياسيًّا له آراء واضحة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ.

تعالج المقالة الحادية عشرة - **جوانب من الفكر السياسيّ للسان الدين ابن الخطيب** - المؤلّفات السياسيّة العربيّة للسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦/ ١٣٧٦)، وزير غرناطة ومؤرّخها، وتبيّن جوانبَ من فكره السياسيّ من خلال ما وصل إلينا من هذه المؤلّفات. وتخلص المقالة إلى أنّ ابن الخطيب، حتّى في نقوله عمّن سبقه، كاتبٌ سياسيّ أصيل. يلي المقالة تحقيقٌ لكتاب ابن الخطيب «الإشارة إلى أدب الوزارة».

النظريّة السياسيّة للسلطان أبي حمّو الزيّانيّ الثاني، المقالة الثانية عشرة، بحثٌ في فكر الزيّانيّ (ت ٧٩١/ ١٣٨٨) السياسيّ بعد مقدّمة عن حياته السياسيّة والأحداث التاريخيّة المعاصرة، وبعد تقييم للمصادر الأوّليّة التي تقوم عليها الدراسة. تركّز المقالة على كتاب «واسطة السلوك في سياسة الملوك» الذي ضمّنه أبو حمّو نظريّته السياسيّة في الحكم فيما يتعلّق بالسياسات الداخليّة والخارجيّة والنظريّة والعمليّة، مع التركيز على آرائه في خُلق الملك والمال والرعيّة والعمران الدينيّ والجيش والفراسة والوزارة. وترى المقالة أنّ نظريّة أبي حمّو مليئة بالنظرات الصائبة والثاقبة معًا، إلّا أنّ مجال الإفادة منها كلًّا مجموعًا ليس مفتوحًا إلّا للمَلِك الذي يعيش في ظروف أبي حمّو نفسها أو في ظروفٍ تشابهها.

أثر التجربة الزيتونيّة التونسيّة في فكر عبد الحميد بن باديس وعمله هو موضوع وعنوان المقالة الثالثة عشرة. وابن باديس (ت ١٣٥٩/ ١٩٤٠) واحدٌ من رجالات الإصلاح في الوطن العربيّ ورائد النهضة الإسلاميّة في الجزائر.

والمؤسّسة العريقة، الزيتونة، كانت - ضمن بيئتها التونسيّة الثقافيّة - أَحَدَ العوامل التي شكّلت شخصيّته، وحدّدت تَوَجُّهاته، وقرّرت إلى حدّ بعيد طريقه في الحياة، فكرًا وعملًا، وهذا ما تَتَبّعه المقالةُ بالعودة إلى نشاط ابن باديس في تونس والجزائر.

يطرح المحور الأخير، المكوّن من سبع مقالات، قضايا تاريخيّة وتأريخيّة. وهو يبدأ بالمقالة الرابعة عشرة، **مدخل إلى دراسة عهُود الصلح زمن الفتوح**، والتي تتفحّص عهود الصلح التي عقدها المسلمون مع أهالي الأراضي المفتوحة بين العامَين ١١ وَ١٣٢هـ، فتعلّق على موثوقيّتها وكيفيّة تغيّرها عبر الزمن، وتقارن النسخ المختلفة للعهود والأخبار المتعلّقة بها بوثائق إداريّة وصلت إلينا أصولها على ورق البرديّ. تخلص المقالة إلى أنّ نصوص العهود أعلى مرتبةً من الأخبار، إلّا أنّ دراسة عهود الصلح دراسة شاملة محتاجة إلى الأخبار. وتؤكّد الدراسة المتأنّية نزعةَ قوّاد المسلمين إلى التشريع والتقنين، وإلى كتابة العقد، وإشهاد الشهود عليه، وإلى التعرّض للحقوق والواجبات، والسعي للتوثيق الدقيق.

تعرض المقالة الخامسة عشرة أفكارًا **نحو منهج سليم في قضيّة موثوقيّة الرسائل العربيّة الإسلاميّة المبكّرة**. فقضيّة موثوقيّة النصوص العربيّة المبكّرة موضوع نقاش طويل في الدراسات العربيّة والإسلاميّة. تعرض المقالة إشكاليّة موثوقيّة هذه النصوص وعمليّة تدوينها المتأخّرة نسبيًّا. وتركّز المقالة على فنّ الرسالة بأنواعه المختلفة، فتتابع نماذجه التي حُفظت لنا منه، وتقترح بشأنه بعض الاقتراحات العامّة في مجال التوثيق له (أو عدمه)، على أن يكون ذلك منهجًا في مادّة الفترة المبكّرة.

هل رحل الشافعيّ إلى اليمن أكثر من مرّة؟ هو السؤال الذي تطرحه المقالة السادسة عشرة وتتّخذه عنوانًا لها. إذ ليس من خلاف بين المصادر في أنّ الشافعيّ قد رحل إلى اليمن، ولكنّ الدارس يُواجَه بما لا يقلّ عن خمس عشرة رواية لهذه الرحلة لا يمكن التوفيق بينها. تخلص المقالة إلى أنّ القصد في المصادر بـ«رحلة الشافعيّ إلى اليمن» هو الرحلة الأخيرة إليها، والتي انتهت بالقبض عليه وإرساله إلى حضرة الرشيد. غير أنّ الشافعيّ قد رحل إلى اليمن غير مرّة: في صغره، طلبًا للّغة والحديث والفقه، ومرّة طلبًا للرزق، ومرّة لولاية منصب قضائيّ، وأخرى للتعليم.

تُسلّط المقالة السابعة عشرة الضوء على **ابن الصغير: مؤرّخ الدولة الرُّسْتميّة**، فتعرّف بالمؤرّخ (ت قبل ٢٧٠/٨٨٣)، ودوره في تأريخ الدولة الرُّستميّة، وهي دولة إباضيّة تأسّست في منطقة تاهرت من أرض الجزائر. وتوضح المقالة منهج ابن الصغير في جمع الروايات التاريخيّة وفهمها ونقلها.

تمثّل مقالة **الشيعة البجليّة في المغرب الأقصى**، الثامنة عشرة في الكتاب، محاولةً لبناء تاريخ متصوَّر لجماعة الشيعة البجليّة عن طريق تفحّص النصوص التي وصلت إلينا بدقّة وربطها بالأحوال السياسيّة والدينيّة في أفريقية والمغرب منذ أواسط القرن الثاني حتّى منتصف القرن الخامس للهجرة. وتُجمل المقالة العواملَ التي كفلت لهذه الفرقة هذه الحياة الطويلة نسبيًّا.

المدرسة في المغرب في ضوء كتاب المعيار للونشريسيّ: مقدّمة في التعريف بالمؤلّف والكتاب هو عنوان المقالة التاسعة عشرة. بعد التعريف بالمؤلّف (ت ٩١٤/١٥٠٨) والكتاب، تنتقل الباحثة إلى الحديث عن المدرسة في المغرب حتّى أواخر القرن التاسع الهجريّ فتفصّل جهود المرينيّين في بناء المدارس بالمغرب بعامّة والمغرب الأقصى بخاصّة، تحديدًا مدارس تلمسان وتونس وطرابلس، وتخصّص إلى ذلك قسمًا للمدارس التي لم تؤسّسها الدولة. كذلك تصف المقالة أدوار الأشخاص الموجودين في المدارس وواجباتهم، كموظّفي المدرسة وإمامها وقيّميها ومدرّسيها وأساتذتها، ثمّ تنتقل إلى مادّة التدريس فيها ومواسم التدريس وعلاقة الطلّاب بالشيوخ، وتتوقّف أخيرًا على المشكلات المادّية التي عانت منها المدرسة.

تدوّن المقالة العشرون، وهي الأخيرة، **ملاحظات حول ظاهرة الفهرسة في التراث العربيّ** منذ ظهور الإسلام حتّى بداية الطباعة في العصر الحديث. تجمل المقالة الحديث عن فهارس كتب العالم الواحد وفهارس كتب المكتبة الواحدة وتفصّل الكلام على بعض كتب الفهارس العامّة وتقسّمها إلى مناحٍ أربعة مقارنةً بينها. وتعزو المقالة في قسمها الأخير قلّة المؤلّفات في كتب الفهرسة إلى أنّ الاهتمام في التأليف في الثقافة العربيّة كان موجّهًا نحو شيئين رئيسين: الرجل والنصّ. من هنا يكمن الاهتمام بكُتب «الطبقات» التي استوعبت ظاهرة الفهرسة في بنيتها. أمّا الاهتمام بالنصّ فترجعه المقالة إلى نشوء طبقة الكتّاب التي ركّزت على

النصوص المختارة من دون السند، الأمر الذي أدّى تدريجيًّا إلى ضعف الاهتمام بالمؤلّفات التي تشكّل مصادر للمؤلّفين المتأخّرين، وقلّ بذلك ذكر أسماء الكتب.

«كلّما اتّسعت الرؤيا ضاقت العبارة»، حكمةٌ شاعت عن النِّفَّري الصوفيّ[١] تشير إلى اختزال الصوفيّ للمعاني. ميزة مقالات وداد القاضي، علاوةً على شموليّة البحث وعمقه، تكمن في جمعها بين رؤيا مترسِّخة في التاريخ والفكر العربيّ الإسلاميّ وعبارة دقيقة واضحة منسابة، ومن هنا وُلد عنوان الكتاب - **الرؤيا والعبارة** - والذي نضعه بين أيدي القرّاء والدارسين تكريمًا لوداد القاضي واعترافًا منّا بفضلها.

بلال الأرفه لي
بيروت ٢٠١٥

(١) انظر النفّري، كتاب **المواقف**، تحقيق أرثر يوحنّا أربري، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريّة، ١٩٣٣، الموقف ٢٨.